خلود فى الوطن

بقلم: إبراهيم المصرى

تمثل هذه القصة التاريخية الواقعية روح البطولة والوطنية التى كانت مستولية على الشعب اليونانى أثناء حرب الاستقلال ضد الفرس وملكهم داريوس عام ٤٩٠ قبل الميلاد . وقد وقعت هذه الحرب فى ميناء ماراتون على بعد عشرين ميلا من أثينا وتولى قيادتها الزعيم الوطنى والقائد العبقرى ملتيادس » .

المؤلف

— ١ —

ابتسم الكاهن « هرمس » ابسامة رقيقة ، وقال وهو ينظر بعينيه المستديرتين الى ضيفه « شالكاس » :

ـ انى لاستغرب كيف تكون فيلسوفا ثم تنعلق بأشياء عارضة لا يلبث أن يأتى عليها الزمن . فى رأيى أن من كان مثلك يجب أن ينظر الى أحداث هذا العالم كما ينظر الرجل العادى الى اختلاف فصول السنة ...

فضحك الفيلسوف « شالكاس » والتفت الى زميله « أوريون » ، وقال له :

ـ ما رأيك فى هذا اللون من التفكير الذى أصبح يستعذبه صديقنا هرمس ويشيد به ويدعو اليه ؟ ...

فأطرق أوريون لحظة ، ثم رفع رأسه الصغير ، فبدا وجهه الذى نقره الجدرى ، عابسا منجهما محتقنا ، أشـــد دمامة مما هو عليه ، وحاول أن يتكلم ، ولكن أعصابه المتوترة تغلبت عليه وضاعفت انفعاله ، فلم يستطع الا أن يرسل شبه صيحات مخنوقة مبهمة .

ورمقه الفيلسوف بنظرة مشفقة ثم تحول الى صاحب الدار وقال :

ـ انت تأخذ على يا هرمس اهتمامى بشئون وطنى ، وترى ان من واجبى كمفكر أن أظل بمعزل عن السياســـة ، وأن أعيش فى عالمى الخيـــالى المغلق . ولكنك تنسى أن بلادى هى مادة فـكرى ، وأن المجتمع الذى يكتنفنى هو الذى يغذى عقلى وقلبى ، وأن الأرض التى تحملنى هى التى توحى الى مختلف الأفكار والعواطف . فكيف تريدنى على أن انفض يدى منها ، ولا أحفل بكفاحها المقدس ضد أعدائها ، ولا أساهم فى هـــذا الـكفاح بكل ما أوتيت من قوة الفـــكر والبيان . انك بذلك تساعد على افناء المادة التى أعيش منها ، وتصيرنى أنا نفسى الى عدم .

فقال هرمس وهو يشيح بوجهه كى لا تقع عيناه على وجه أوريون المشوه :

ـ ولكنك كلما تعلقت ببلادك ، انطويت على نفســـك ، وضاق أفق تفكيرك ، وآثرت مصلحة اليونان العارضة على خير الانسانية الباقى .

فعقد الفيلسوف أصابعه الضامرة على بطنه المتكور ، وقال دون أن يفارقه هدوءه :

ـ الحرية التى انشدها لبلادى هى القوة التى لابد أن تتوافر لى أولا ، كى أستطيع فى دائرتى المتواضعة تحقيق الخير والحرية للانسانية كلها .

فندت عن أوريون صرخة أعرب بها عن اعجابه بأستاذه . ولكن هرمس لم يعبأ به واستطرد :

ـ واذا كانت القوى غير متكافئة ؟ ... اذا كانت جيوشنا لن تستطيع الثبات أبدا أمام جحافل الفرس ، أفلا يكون من الخير لنا أن نستعيض عن الحرب بالسياسة وأن نخدع أولئك القوم ونتقرب اليهم ، عسى أن تنفع الحيلة حيث أخفقت الحرب ؟ .

وهنا صاح الفيلسوف :

ـ ولـــكن الحرب لم تنتـــه بعـــد . وليس معنى تقهقرنا فى المعركة الأولى أن الفشل مقضى به علينـــا .

فقال الكاهن هرمس وهو يبتسم ويربت على كتف الفيلسوف :

ـ لا ... لا يا صديقى شالكاس ... انك لم تعد فيلسوفا بالمرة . ان عواطفك الوطنية تطغى عليك وتؤثر فى تفكيرك . وانك الآن لتفضل هزيمة بلادك وخرابها على استخدام عقلك وذكائك وحنكتك لانقاذها .

فقطب شالكاس حاجبيه . وقال وهو يطيل النظر الى مضيفه :

ـ لا أنت ولا أنا سنصبح شيئا مذكورا اذا ما فقدت البلاد معركة استقلالها ضد جيوش داريوس !.. **وانه لمن البديهى أن الحـكمة والفلسفة والفنون والشرائع لن تزهر فى أمة من العبيد ... والواقع انى عندما أكافح من أجل حرية بلادى ، انما أزود فى الوقت نفسه عن حرية فكرى ، أى عن تطور الفكر البشرى اطلاقا . لهذا السبب أنا من أنصار الحرب ، ومن أنصارها حتى النهاية ! .**

فأسبل هرمس عينيه المستديرتين الضيقتين ، وتظاهر بالتبسط والمسايرة والتسليم . ومضى الفيلسوف يفكر وهو يدير ابهاميه على بعضهما فى حركة هادئة . وانطلق أوريون يضحك بلا مسوغ ضحكات مزعجة متقطعـــة ، وقد تهدل لحم خديه ، وارتعش أنفه الأفطس ، وبرزت من بين شفتيه الغليظتين أسنانه الحادة السوداء .

وثر فجأة وزايلتـــه نوبة الضحك ، وارتد وجهه ساكنا كئيبا حزينا . فلاح عليه ضوء غريب من جمال لم يلحظه ولم يبتهج له غير الفيلسوف شالكاس .

وقال صاحب الدار بعد فترة :

ـ لقد انذرتكم وانذرت سواكم ، وما أنا بعد بمسئول اذا حلت الكارثة ! ...

وهنا انتفض أوريون الدميم ، واستطاع بعد جهد أن يقول :

ـ أية كارثة ؟! ...

والتفت يمينا ويسارا كأنه يشهد الملأ على ما سيقول واردف :

ـ نحن سنكسب هذه الحرب ! ... سنكسبها ! ... سنكسبها ! ...

وطفق يضحك كمعتوه ويهز جسمه هزا متواليا ، كأنما هو يرقص على نغمات موسيقى النصر . ثم صمت مرة أخرى واربد وجهـــه وعاودته كآبتـــه . فانتحى زاوية قبع فيها وظل يحدق باهتمام الى قدميه .

وهنا لم يتمالك الفيلسوف نفسه ، فانفجر بالضحك هو الآخر وقال :

ـ ما أمتع حيـــاتى معـــك يا أوريون ! ... ان تقلباتك الغريبة تســحرنى وتفتننى ! ... انك تمثل الحياة الكبرى ، وكل ما فيها ينعكس عليك . كل ما سوف يأتى به القدر يستشعره قلبك وتفيض آثاره على محيـــاك . وما دمت أنت مؤمنـــا بالنصر فأنا مؤمن به أيضـــا ... فلا تكتئب ولا تحزن ... ان « هستيا » تقـــدرك وتثق فى الهامات بصيرتك ، وتعتقد نفس اعتقادك ولو كره والدها . فنحن ثلاثة : هى وانت وأنا ، ولسوف تتغلب بعون الآلهة على ضعف هرمس وشكوكه ...

فغافل أوريون هرمس ومال نحو أستاذه ، وهمس فى اذنه متوسلا وهو يرتجف :

ـ لا تنصرف ... ابق قليـــلا ... اريد أن اراها فى حلتهـــا المقدسة البيضاء قبل أن تذهب الى المعبـــــد ...

فطمأنه الفيلسوف بنظرة معنوية ، ثم تحول الى مضيفه وقال :

ـ لابد أن سيكون احتفال هذه السنة رائعا ! ...

فأجاب الكاهن هرمس وهو منصرف الى تفكيره :

ـ ماذا تقول ؟ ... نعم ... أجمل العذارى من أرقى بيوتات اليونان اشتركن فى حياكة ثوب الآلهة « بالاس » الذى ستكسوا به اليوم تمثالهـا . سيكون الموكب كما الفتموه عظيما ... ولكن رهطا كبيرا من العظماء والوجهـــاء سيشترك فيه هـــذا العام ، كما سترتل « ميرا » لأول مرة ، يصحبها جمع من الفتيات ذوات الجمال الرائع والصوت الرخيم .

فهتف أوريون وهو يصفق :

ـ سيكون عيد « بالاس » بشير النصر ! ...

ثم اتجه بغتة نحو هرمس ، وركع امامه نصف ركعة ، ثم تشجع وقال فى احترام عميق :

ـ آمل وأنت الكاهن الأول فى معبد الآلهة « بالاس آتينا » ألا ترفع اليها اليوم صلواتك وأنت فى شك من انتصار ابنائها ! ...

فرمقه هرمس بنظرة ساخرة . ثم قال فى صراحة وشموخ :

ـ ان سلامة نيتى تثبت لها طهارة قلبى .

وكان الفيلسوف يحدق اليـــه وهو ينطق بهذه العبارة . فلما التقت عيناهما ابتسم هرمس ابتسامة خفيفة وأشاح بوجهه واطرق . وفى هذه اللحظة سمع صوتا عذبا يقول : **هانذى يا والدى ...**

والتفت الكل واذا بهستيا الجميلة واقفة بباب مخدعها تبتسم لهم ، وترفل مبتهجة فى حلة العيد الجديدة البيضاء .

وصاح الفيلسوف وهو يتأملها معجبا بها :

ـ كم أنت جميلة يا هستيا ! .

فطربت الفتاة لهذا الاطراء ، وتألقت عيناها الزرقاوان ، وانسكب على كيانها كله ضوء من الزهو الفاتن البرىء . ولكنها قالت فى وداعة ورقة :

ـ سترى فى الموكب فتيات أجمل منى بكثير يا أستاذى العزيز ...

فلوح الفيلسوف بيده وقال :

ـ أنت أجملهن جميعا .

فأمالت هستيا رأسها على كتفها بحركة لطيفة ، وقالت قد ارتعشت جدائل شعرها المصفف حول رأسها كتاج من ذهب :

ـ لقد علمتنى التواضع يا أستاذى ، فحذار ان تلقى فى نفسى بذور الكبرياء .

فقال الكاهن هرمس وهو ينظر الى ابنته نظرة ملؤها الاعتزاز :

ـ يحق لك ان تفخرى يا ابنتى فالكبر من شيم الجمال ...

وأردف مداعبا وهو يبتسم :

ـ آه لو رآك خطيبك « كرونوس » على هذه الصورة ، اذن لازداد جنونا بك ! ...

فغضت الفتاة من بصرها حياء وقالت فى خفر ودل :

ـ ألن تكف عن ذكر هذا الموضوع يا أبت ؟ ...

فقال الفيلسوف وهو يحك صلعته :

ـ هذا أحب موضوع الى الفتيات يا هستيا .

فتضرجت وجنتاها ، وشاع الخجل والاضطراب فى صوتها ، وقالت وهى تلقى على الفيلسوف نظرة عتاب :

ـ وأنت أيضا يا أستاذى ؟! ... انى اغفر لك لانى احبك ، ولكن عدنى بألا تطرق هذا الموضوع مرة ثانية ...

فقهقه الفيلسوف وقال :

ـ اذا امتنعت عن الكلام فيه فلن تعدمى أنت وسيلة لاثارته بنفسك ...

فضج الوالد بالضحك ، وتململت « هستيا » وتحولت عنهما الى أوريون . ولكنها ما كادت تدنو منه وتنظر اليه ، حتى انقبض محياها ، وخنق الاشمئزاز الكلمات فى صدرها على الرغم منها .

وكان أوريون قابعا فى زاويته . رافعا رأسه اليها ، يتأملها بنظرات ملؤها العبادة والتقديس . فلما ابتعدت عنه ، وأحس منها ذلك النفور الطبيعى الذى لم تكن لها حيلة فيه ، طوى رأسه على صدره كى يخفى وجهه الدميم ، وأرسل أنة قصيرة ، وانكمش ولم يتحرك .

وبعاطفة انسانية نبيلة غالبت الفتاة نفسها وتحولت نحو أوريون وقالت له :

ـ الا ترى ان من واجبى اليوم الا افكر فى نفسى ، أو فى خطيبى ، او فى اية سعادة غير سعادة ومجد وطنى ؟ ... كل عذراء فى بلاد اليونان ، ولا سيما انا بنت الكاهن الأول ، يجب أن تتجه اليوم بعقلها وقلبها الى المعبودة « بالاس » كى تعجل بعقد اكاليل النصر على هامات أبطالنا ! .

فهز الفيلسوف رأسه ، وتعمد أن يقول كى يحرج هرمس :

ـ ما أعجب أن تناقض البنت آراء أبيها .

فتطلعت هستيا الى أستاذها وقالت فى دهشة :

ـ ما معنى هذا ؟ ...

فأجاب الفيلسوف على الفور :

ـ والدك يرى أن النصر على الفرس ضرب من المحال ، وانه أولى بنا وأجدى لمصالحنا أن نتفق معهم ونلقى السلاح ! ...

فبهتت هستيا ، ثم امتقع لونها وتبدلت فى لحظة . تفضن جبينها وارتسمت عليه صرامة مهيبة . اتقدت عيناها واتسعتا وقدح منهما بريق الغضب والاستنكار . زايلها كل خضر وكل رقة . تقلص عنها جمال العذارى ، وأغدق عليها السخط جمالا آخر أشد تأثيرا وأوقع فتنة . فمشت الى والدها كامرأة راشدة كاملة ، وقالت فى صوت جاف جهير :

ـ أصحيح ما قاله شالكاس يا أبت ؟ .

فاضطرب هرمس ، وأجاب متلعثما وهو يرشق الفيلسوف بنظرة حانقة :

ـ هذه الفكرة عرضت لى .. وليست من الأهمية بحيث ...

فقاطعته هستيا متفعلة :

ـ بل هى من الخطورة بمكان عظيم ! ... ولو تسربت منك أنت الكاهن الأول ، وتغلغلت فى أوساط الشعب فى أيام المحنة هذه التى نجتازها ، فمن ذا الذى يضمن ان تظل الأمة متماسكة أمام عدوها فى حرب هى بالنسبة لها حرب حياة أو موت ؟! ...

وصمتت فجأة ثم صرخت :

ـ أنتم تعلمون شدة حبى لخطيبى كرونوس ، ولكنى برغم هذا الحب أوثر ان يقتل فى ساحة الحرب على أن يعود الى حيا وفى صدره خيبة الهزيمة ... الموت ... حب الموت يا والدى ... انكار الحياة ... الزهد فيها ... التحرر من مباهجها ... التغلب على سلطانها باحتقار هذا السلطان ... تلك هى المبادىء التى أخذتها عن أستاذى شالكاس ، والتى أعلم علم اليقين ان فيها سعادة وطنى كما كانت فيها حتى اليوم سعادتى !

وكانت تتكلم وأوريون شاخص اليها ، يتأمل وجهها المذهب ، وبينهما القاسيتين ، وشفتها القرمزية وهى ترتجف ، وأشاراتها القاطعة ، وحركاتها الفياضة بالأباء والعزة . ففغر لها من صميم قلبه نفورها العميق منه ، لفرط ما شاهد من اخلاصها وصدق وطنيتها .

وفجأة وقع بصرها عليه فلم تتقزز ، بل اتجهت نحوه ، وأمسكت بذراعه ، وتقدمت به الى حيث كان يجلس والدها واستطردت :

ـ ماذا قدمنا نحن للوطن ؟ ... لا شيء ! ... أما أوريون الذى منعه الضعف والعجز البدنى عن عمل السلاح والذى لم يستطع أن يقدم للوطن حياته ، فقد وهب خزانة الجيش كل ثروته ! ... يجب أن نقتدى به . وان أعوزتنا روح التضحية ، فلا اقل من أن نصمت وندع اليونان تقاتل موحدة متراصة الصفوف مرتاحة الضمير ! .

ورنت بطرفها الى أوريون وربتت على كتفه . فتفتح قلب الرجل الدميم المنبوذ ، وابتهجت روحه ، وانحدرت دمعة على خده المشوه .

واحست هستيا أنها قد أسرفت فى القسوة على والدها . فاندفعت نحوه وطوقته بذراعيها ، ومضت تبتسم وتقول بصوتها الناعم وقد عاودتها فتنة العذارى الرقيقات المستضعفات :

ـ سامحنى يا أبت ! ... ما قصدت الاساءة اليك .. لتنصب على لعنة الآلهة « بالاس » فى يوم عيدها العظيم ان كان قد خامرنى اى شك فى وطنيتك ... أعف عنى ... ابتسم لى كعادتك ... انس ما بدر منى وهات يدك ..

وتناولت يد والدها وقبلتها فى خشوع ... ثم انثنت الى استاذها ، وقالت وقد تفاضت عن أوريون كعادتها ، وأهملته كأن لم يعد له وجود :

ـ ألا ترى انى بوصفى بنت الكاهن الأول يجب أن أحمل الآنية المقدسة وأتقدم موكب العذارى ؟ ...

فأجاب الفيلسوف :

ـ يكون منك أجمل وأروع وأنت بنت الكاهن الأول فى معبد الآلهة التى سنحتفل اليوم بعيدها ، أن تضربى المثل الصالح فى التواضع ، وأن تقدمى عليك أترابك وتسيرى فى مؤخرة الموكب ...

فحنت هستيا رأسها وقالت :

ـ لك ما تريد يا أستاذى . وسأظل فى المؤخرة وأنت العظيم الى جانبى .

ولم تكد تتم عبارتها حتى سمعت خارج البيت حركة وأصواتا مصحوبة بلجب كبير . فصاحت هستيا وقد غمر الفرح وجهها :

ـ جاءت العذارى ، وأزف الموعد ...

فهتف أوريون :

ـ هيا بنا ! ...

فرمقهم الكاهن هرمس بنظرة جانبية ، ثم قال فى هدوء وهو يشيح بوجهه ويبتسم ابتسامته الخفيفة الغامضة :

ـ تقدمونى الى المعبد . يجب أن أغتسل وأتطهر قبل أن أشرع فى الصلاة . تقدمونى ولتباركنى الآلهة .

فنهض الفيلسوف شالكاس ، وتأبطت هستيا ذراعه . وسار أوريون خلفهم بخطى التابع القانع السعيد ، وخرجوا جميعا متجهين نحو المعبد .

* * *

ولم يكن هرمس فى حاجة الى التطهر . اذ الواقع أنه كان قد اغتسل وتطهر منذ الفجر . فلما ألفى نفسه وحيدا ، ذكر كل كلمة قالها للفيلسوف ، وطفق يضحك . ضحك ضحكات ساخرة هادرة متوعدة شبه وحشية . ثم اندفع نحو نافذة صغيرة وفتحها ، ثم أطل منها ، وجعل يتأمل الشارع العريض وهو يلهث . وفجأة ابرقت عيناه ، وارتعش بدنه كله ، وصاح :

ـ ها هم ...

وأسرع وفتح الباب . فنفذ منه سبعة رجال فى مقدمتهم رئيس الشرطة والشاعر الغنائى المشهور أكتيون . فاستقبلهم الكاهن مرحبا ، ثم أهاب بهم وهو يتعجلهم :

ـ الوقت ضيق وثمين ... فتكلم ... تكلم يا أكتيون ... ماذا فعلت ؟ ..

فقال الشاعر وهو يصعر خده ، ويشمخ برأسه زهوا وكبرا :

ـ لقد أعددت المنشورات وهى معى ... هذه هى ... موقعة بخاتمك وخاتم الكاهن الأعظم ورئيس الشرطة ... سنوزعها على الشعب فى أيام العيد .. ثم نبدأ باشعال نار الثورة بعد غد فنحتل المرافق العامة ، وننظم المظاهرات ضد الحرب ، وننادى بسقوط القائد ملتيادس ، وضرورة عقد الصلح مع الفرس وملكهم داريوس ! ..

فهتف رئيس الشرطة :

ـ مرحى بك يا أكتيون . لانت بطل الثورة ولا ريب ، وزعيمنا الأوحد فى المستقبل القريب .

فاندفع الكاهن هرمس ، وعانق الشاعر وقبله وهو يردد :

ـ انت زعيمنا ... انت منقذنا ... امض فى سبيلك ، وهيىء رجالك للعمل وأسرع .

ان كل لحظة محسوبة علينا . فابدأ بتوزيع المنشورات فى الحى الشرقى من المدينة حيث يقطن التجار وأصحاب المصالح . أما رئيس الشرطة فسيحرص الحرص كله على عدم التدخل لمنع المظاهرات . وأما أنا فسأنطلق من فورى الى المعبد حيث أطلع الكاهن الأعظم على ما قمتم به من جهود ، وأشغل الجماهير بصلوات وحفلات العيد ... اذهبوا ..

فانحنى الجميع فى احترام وقبلوا يد الكاهن فشيعهم هرمس حتى الباب وهو يحدق فى عينى رئيس الشرطة تحديقا غريبا ، وينظر الى الشاعر المزهو أكتيون نظرات ملؤها التشجيع والتقدير والاعجاب .

ولما ألفى نفسه بمفرده مرة ثانية ، لم يضحك . بل ضم قبضتيه ، وعض على شفتيه ، وأرسل شبه صرخة ، ثم التقط أنفاسه واندفع متجها نحو « الاكروبول » كى يلحق بموكب العذارى .

* * *

وكان الأكروبول قلعة أقيمت فى أثينا فوق صخرة عالية شيدت عليها معابد مختلفة ، منها البارثنون معبد الآلهة بالاس . وكانت الجماهير الغفيرة قد احتشدت حول المعبد . أما المعبد نفسه فكان مقسما الى مناطق ثلاث : المنطقة الأولى رحبة فسيحة أعدت فى الجهة الشرقية لتلقى القرابين والنذور ، والمنطقة الثانية رحبة أيضا أقيمت فى الجهة الغربية لحفظ كنوز الآلهة وجواهرها ـ وأما المنطقة الثالثة فكانت تبرز فى الوسط ، وينهض فيها على قاعدة عظيمة تمثال الآلهة نفسها .

وكانت الجماهير ومعظمها من أبناء الشعب البائسين الكادحين وذوى العاهات ، تتجمع عند أبواب البارثنون فى انتظار مقدم الموكب وبدء الصلاة .

فالمشلولون والمقعدون والعميان ، والأمهات الحاملات أطفالهن المرضى ، والشيوخ الذين أعيتهم مكافحة الهرم ، والمصابون بداء الصرع ، والأرامل الحزينات ، والمطلقات المنبوذات ، والنساء العقيمات اللاتى يتمنين الحمل ويشتهين الأمومة ، كل أولئك كانوا يتزاحمون بالمناكب نحو المعبد ومن خلفهم طوائف المتفرجين من أبناء الطبقة الوسطى ، أو ارهاط الشباب الماجن العابث من أبناء الطبقات العالية ، جاءوا لأمتاع نفوسهم بالاندماج فى حفلات العيد ، والاشتراك فى الرقص مع الغوانى ، والاستماع لتراتيل المغنية « ميرا » ومشاهدة موكب العذارى .

أما الرجال والنساء الذين ذهب الى الحرب أبناؤهم أو أزواجهم أو اخوتهم ، والذين فقدوا الكثيرين منهم فى ميدان القتال ، فقد كانوا فى المقدمة متجمعين بعضهم حول البعض الآخر ، يتنسمون أنباء القتال ، ويواسون المرضى ، ويبتهلون الى الآلهة بالاس أن تعجل يوم الخلاص والنصر .

ولم يكن ليلفت النظر فى هذه الجموع سوى الغوانى المحترفات بائعات الهوى . فقد كن يبرزن من بين الجماهير بأردبتهن الزاهية ، وضحكاتهن العالية ، وتكاتهن الصارخة ،

ووجوههن الوضاءة المطلية بالمساحيق . وكن يتحرشن بالشبان الأثرياء ، ويبادلنهم مختلف النكات ، ويعقدن معهم أواصر الصداقة ، ويضربن لهم مواعيد الغرام .

وكانت الأحاديث تدور حول المرض والحرب والحب . وكان الفرح بالعيد يخفف من وطأة المرض ، والأمل العميق في النصر يحجب كوارث الحرب ، ومشهد العذارى المنتظر يؤجج في النفوس شعلة الحماسة ويضرم عاطفة الوطنية وعاطفة الحب .

وفجأة ترامت الى الآذان أنغام موسيقية بعيدة . فاضطربت الجماهير واختلطت ، ومالت صفوفها المتراصة متدافعة كالموج ، وارتفع صراخها وهتافها عاصفا مدويا كهدير بحر خرافي هائل .

وتقدم الموكب شيئا فشيئا ، وأفسح له الشعب الطريق . ولم يكد يبدو هرمس ومن خلفه الكهنة يتبعهم خدم الهيكل حتى استولى على الناس شبه جنون . فاندفعوا نحو الكاهن الأول ، وداس كبيرهم صغيرهم ، وولولت النساء ، وبكت الأطفال ، ولم يتم غير نفر قليل بلثم رداء هرمس خادم الآلهة بالاس .

وفي أقل من لحظة تبدلت نفسية الجماهير ، وخمدت أصواتها ، وقر فيها النظام ، واحتواها الصمت .

تراجع الناس واصطفوا خاشعين ، ثم اشرأبت أعناقهم ، واندلعت عيونهم ، ومضوا يحدقون في لهفة ونشوة الى موكب العذارى .

وكن عشرا من أجمل وأفتن بنات أثينا ، يسرن متئدات شامخات ، صارمات الوجوه في جلال مهيب ، تائهات العيون في ورع قدسي ، ملتهبات الخدود في فرح محتجز عميق ، يحملن في كبر واعتزاز ثوب الآلهة الجديد الذي حاكته أناملهن ، وزركشته ، ووشت مختلف أطرافه ، ورسمت عليه صورا رائعة من شتى المعجزات التي قامت بها الآلهة ، ونقشت فيه أسماء الأبطال الذين استشهدوا وماتوا في سبيل الوطن .

وجثت الجماهير عند مرور الموكب ، وحنت رؤوسها أمام الثوب الذي كان يتألق ويسطع تحت أشعة الشمس ، متموجا من خلالها ، سابحا فيها ، أشبه بقارب صغير من ذهب ، يرمز الى النجاة ، ويتجه في هدوء نحو شاطىء الأمن والخير والسلام .

وارتفعت غمغمة كبيرة تعالى بعدها الهتاف :

ـ المجد لبالاس أثينا ! ...

فارتعشت يد هستيا وهي تحمل طرف الثوب المقدس ، وضمت شفتيها خشية أن تبكي من فرط التأثر ، واستطردت في السير وئيدة الخطى ، صافية العينين ، مشرقة الوجه ، ممشوقة القد ، لينة الأعضاء ، تكلؤها عين الفيلسوف أستاذها ، ويرمقها أوريون الذميم بنظرات ملؤها الحسرة ، وتنهب حسنها الباهر أبصار الجماهير .

ومر الأشراف والنبلاء وكبار رجال الحكومة ، وتبعتهم فرق الموسيقى ، وجماعة الشعراء والأدباء ورجال الفن ، يحيطون بالمغنية « ميرا » وقد ارتدت ثوبا أبيض ناصعا محلى بزهرات حمراء ، وأرخت شعرها الأسود الرائع على كتفيها ، وتمنطقت بحزام من ذهب . فما أن عرفتها الجماهير حتى صاحت :

ـ ميرا ! .. ميرا !..

فابتسمت المغنية ولوحت للهاتفين بذراعها ، كأنما هي تعدهم بسماع ما لم يسمعوا في حياتهم من أشجى التراتيل وأحرها وأقدسها .

وجعل الموكب يختفي ويغيب في جوف المعبد على مهل . ثم تدفقت في أثره الجماهير متسابقة متدافعة ، ثم هدأت الساحة بعض الشيء ، وتخلف فيها ذلك النفر من الشباب الأثرياء في صحبة بنات الهوى اللاتي جلسن على الأرض ، ومضين يجاذبن أصدقاءهن الحديث ، ويداعبنهم ، ويمرحن ويضحكن في انتظار نهاية الصلاة وبدء أفراح الشعب .

وكان آخر من دخل المعبد هو عاشق هستيا التعس المسكين ، أوريون الدميم المعذب المنبوذ الذى لم تستطع أن تطيل النظر اليه عين ، والذى لم يكن بين كل هذه الجموع صديق .

* * *

واخترق أوريون الجماهير وتسلل بين أعمدة المعبد ، حتى وقع اختياره على زاوية يمكن أن يلمح منها الآونة بعد الأخرى وجه حبيبتـــه هستيا . وكان الكاهن الأعظم قد بدأ يتلو صلاته وهو جالس على أريكة عالية مجاورة لقاعدة تمثال الآلهة ، يشخص اليها البصر ، موفور التقى ، مشبوب الفكر والقلب والروح . أما الكاهن الأول هرمس فكان قد اقترب من التمثال المقدس وحوله صغار الكهنة يبتهلون ويرنمون ، وشرع ينزع فى بطء وحرص عن الآلهـــة ثوبها القديم ، ويتناول الثوب الجديد من أيدى العذارى ، ويخلعه على التمثال .

وظل الـكهنة يرتلون والشعب صـامت ثم انحنوا فجـــأة وتراجعوا كأنهم يقـــدمون الآلهـــة هبـــة للجماهير .

ولاحت اذ ذاك « بالاس أثينـــا » تتلألأ فى ثوبها الجديد الرائع ، مستوية على قاعدة تمثالها ، عزيزة ومرهوبة ، تعلو رأسها خوذة يزينها رسم أبى الهول ، ويحمى صدرها درع نقشت عليها صور بعض الأفاعى ، وتقبض يدها اليسرى على رمح أســـند الى درع ، وتحمل يدها اليمنى شـــــارة النصر المجنح .

وعندئذ جاشت الجماهير واسطخبت . فارتفعت الأذرع مرتعشـــة ، وامتدت الأكف نحو الآلهة متضرعة ومبتهلة ، وفتح الكاهن الأعظم باب الحجرات الشرقية حيث تراكمت القرابين والنذور التى قدمها الشعب بالأمس . فضج الناس بالفرح ، واتقدت حماستهم ، وجعلوا يرددون :

المجد لبالاس اثينا ! ...

وقبل أن تفتر حميتهم ، توسطت المغنيـــة ميرا بهو المعبد ، ثم تقدمت صوب الهيكل ووقفت تجاه تمثال الآلهة . ثم جثت ، ثم نهضت ، ثم رفعت ذراعيها وأنشأت ترتل بصوتها الحار الجميل ، وهى شاخصة الى عينى الآلهـــة ، والجمهور يتبعها النظر ، وقد خفتت صيحاته ، وحل محلها سكون خاشع رهيب .

وغنت ميرا تمتدح بالاس وتمجدها :

« الحكمة شعارك يابالاس والعقل قوتك » .

« الفصاحة لسانك والفنون زينتك » .

« الرقى ايمانك والحضارة قبلتك » .

« فامنحينا النور يا عذراء الخلود وقوى قلوبنا ! »

فرددت الجماهير فى حماسة :

ـ امنحينـــا النور ! ..

وجلجل صوت ميرا واستطردت :

« يا بعيدة النظر ياسيدة الرواية » .

« يا بنت العلى وحارسة المدنية » .

« يا ذات العيون الصارمة والنفس الأبية » .

« يا درع الوطن ، يا عذراء ، أنقذينا ، وامنحينـا نعمة الخلاص والحرية ! ... »

فرددت الجماهير فى جنون :

ـ امنحينا نعمة الخلاص والحرية ! ...

وحلق صوت ميرا ودوى كالرعد القاصف :

« يا راعية الأبطال يا عاقلة » .

« يا ربة الحكمة والشجاعة . يا باسلة » .

« يا عبقرية السيف والقلب والفكر » .
« يا روح الكفاح ومجد هذا العصر » .
« امنحينا الثبات يا عذراء » .
« وجودى علينا بالنصر ! ... »

فماجت الجماهير ، وانشقت حناجرها وهى تصرخ :

ـ جودى علينا بالنصر ! ...

ثم صمتت ميرا ، وانحنت تقبل قدمى الآلهة ، ثم تراجعت فتلقاها الشعراء والفنانون وأحاطوا بهـا وجعلوا يلثمون اطراف ردائها ، بينما كانت الموسيقى تعزف ، والجماهير تهلل ، والعذارى ينثرون الورود على الآلهة فتتساقط كالنجوم وتتحدر على قاعدة التمثال حيث كان يزدحم المصلون ويتبارون فى أيهم يفوز بوردة منها .

وبعد أن أتم الكهنةالشعائر الدينية وتحولوا فى اتجاه رئيسهم الأعظم وانحنوا لتحيته ، اصطفت الفتيات فى نصف دائرة تجاه الهيكل ، ووقف هرمس على الدرجة الثانية لقاعدة التمثال ، ثم طوى ذراعيه على صدره وقال :

ـ يا أطهر وأنقى عذارى اليونان . تعلمن أن الكاهن الأعظم لم يعهد اليكن بحياكة ثوب الآلهة العذراء بالاس الا ليكون الاقتداء بفضائلها رائدكن منذ الساعة ، وحتى بعد أن تغادرن بيوت آبائكن الى دور أزواجكن . فلتتقدم اذن كل واحدة منكن ولتقسم أمام الآلهة انها ستحتفظ بنفسها طاهرة من كل خيانة وكل نميمة وكل رذيلة وكل دنس . واعلمن أن من تحنث بيمينها لابد أن تحق عليها لعنة بالاس ! ...

فرفعن جميعا أبصارهن نحو الآلهة ومددن أذرعهن وقلن في صوت واحد :

ـ نقسم أن نقتدي بالآلهة بالاس !

فاستدار هرمس وتمتم أمامها بعض الصلوات ، ثم تحول وبارك العذارى . فانحنين لتحيته بعد أن قبلن قدمي الآلهة ، ثم انصرفن الواحدة بعد الأخرى ، متئدات ساكنات ، وقد امتلأت قلوبهن راحة وقوة وصفاء .

وبدأ المصلون يمرون بالتمثال وهم يلمسونه ويقبلون أناملهم متبركين . ثم اندفعت جموعهم نحو الخارج ، وفترت حركتهم في المعبد ، وشرع الكاهن الأول هرمس يتلو صلاة الشكر الطويلة الجامعة وهو جاث تجاه التمثال ، والكاهن الأعظم يردد عن بعد نفس الصلاة ، وبتهيأ لنحر الذبائح التي قدمها المؤمنون قرابين للآلهة بالاس .

وكان قد خطر لهستيا أن تتخلف ريثما يفرغ والدها من صلاته فيعودا الى البيت معا . ولكنها ذكرت أن الفيلسوف أستاذها لابد أن يكون في انتظارها خارج المعبد ، وأن من واجبها ألا تدعه ينتظر . فاتجهت نحو البـــاب . غير أنهـــا لم تكد تتوسط الرحبة الكبيرة المؤدية الى الخارج ، حتى جمدت في مكانها ، ثم ابتسمت ، واستضاء وجهها كأنما قد صب عليه فجأة سيل من نور ... أبصرت خلف أحـــد أعمدة المعبد حبيبها وخطيبها كرونوس ، رئيس فرقة الفرسان في الجيش الوطني المقاتل ، يشير اليها بالصمت ، ويدعوها الى الدنو منه . فتقدمت وهي ترتعد . فجذبها الشاب من يدها ، وسار بها الى أقصى المعبد حيث ينهض عمود ضخم أخفاهما عن الأبصار . وهناك ضمها في حنان الى صدره ، فأقصته عنها في رفق وغمغمت :

ـ كيف جئت ؟ .. انها لمعجزة ! .. أأنت في أجازة ؟ .. وهل .. هل نحن منتصرون ؟ ..

فحاول الشاب أن يجيب . ولـكنها تأبطت ذراعه وآثرت أن تخرج به من المعبـد فردها بحركة وقال في همس :

ـ أستاذك وأوريون ينتظران بالبـاب ، ولا أريد أن التقي بهما قبل أن أتحـدث اليك .. اليك وحدك .. الآن .. لدينا متسع من الوقت .. البثي مكانك .. لا تتحركي .. اصغي الي .

وكان شابا وضيء الطلعة ، سبط القوام ، مدمج الأعضاء ، بادي عظام الوجه في رجولة أخاذة . وكان يتكلم وهو يرتجف ، وبعض شـــفته الرقيقة السفلى ، ولا يفتـأ يرشق هستيا بنظرات حادة متقطعة وجلة ، كأنما هو يخشى التحديق اليها مواجهة .

وكانت هي تتطلع اليـــه وقلبها يخفق ، ونظراتها تحوم حول ملامح وجهه وتقتنص من حركاتها ما يمكن أن يميط لها اللثام عن دخيلة نفسه .

وقالت بعد فترة :

ـ أنت مضطرب .. لم أرك أبدا على هذه الصورة .. ماذا ؟ .. هل بدأت المعركة الثانية .. وهل هزم جيشنا ؟ .. تكلم .. أسرع ..

فقال الشاب وهو يلتقط أنفاسه :

ـ لن نهزم في ســـاحة القتال أبدا . ولكننا قد نهزم هنا .. في الداخل .. وهـــذه الهزيمة المروعة قد تقضي على جيشنا شر قضاء ! ..

فتمتمت هستيا :

لا أفهمك ..

فاستطرد وهو يختلج :

ـ ما أن ظفرت بأجازة يومين ، ومنيت نفسي برؤيتك ، حتى امتطيت صهوة جوادي وأسرعت ودخلت المدينة متجها نحو بيتك ، ولكني لم أكد أشرف على بابه حتى رأيت الشاعر اكتيون خارجا منه ... من بيتك أنت .. خارجا في صحبة نفر من أصدقائه يتقدمهم رئيس الشرطة . فاستغربت أمرهم ، ولم أفهم لماذا اجتمعوا اليوم في دارك ، وتراجعت . ولكن اكتيون أبصرني . فودع رئيس الشرطة ، ثم ناداني واندفع نحوي وعانقني . ثم استفسرني عن حقيقة موقف الجيش في ميدان القتال وهو يبتسم ابتسامة غامضة أدهشتني وارابتني . وفجأة ، مال الي ، وربت على كتفي ، وقال لي بالحرف الواحد :

« من الخير لك أن تظل في أثينا ، وأن تنضم الى صفوفنا ، وأن تعدل عن العودة الى ميدان القتال ، لأن البلد أصبح في أيدينا . وقد اعتزمنا نحن أن نعقد الصلح مع الفرس ، وأن نشعل نار الثورة في الداخل كي نضع حدا لحرب الاستقلال الطائشة ، ونعرقل جهود القائد ملتيادس ، ونقيم الكاهن الأعظم صديق الفرس ملكا علينا ! ... »

هذا ما قاله الشاعر اكتيون . فبهت أنا ولم أصدق . وعندئذ أبرز لي الشاعر منشورا يدعو الى الثورة ووقف القتال ، موقعا عليه بخاتمه هو ، وخاتم الكاهن الأعظم ، وخاتم رئيس الشرطة ، وخاتم شقيقي الأكبر « بلوتون » حارس صوامع الذخيرة في أثينا ، وخاتم رجل آخر تعرفينه أنت حق المعرفة يا هستيا ...

فاندفق الدم الى وجه الفتاة ، وانخلع قلبها ، وهتفت :

ـ من ؟ .. من هو ؟ ..

فأومأ الشاب باصبعه الى الهيكل وقال :

ـ هو ذلك الرجل الذي يصلي ! ... هو والدك ... هو الكائن في معبد بالاس ، وهو الذي عقد المتآمرون اجتماعهم صباح اليوم في بيته ! ..

فجحظت عينا الفتاة ، وعقد الهول لسانها . أما كرونوس فاستطرد يقول :

ـ تصوري مبلغ دهشتي ورعبي عندما تأكدت أن الكاهن الأعظم واكتيون الشهير ووالدك النبيل ورئيس الشرطة نفسه وشقيقي الأكبر بلوتون ، أي صفوة رجال هذه الأمة ، هم جميعا من الثوار دعاة الهزيمة وأنصار الفرس وأعداء جيشنا الذي يقاتل قتال المستميت ذودا عن كرامتنا وحريتنا واستقلالنا ! ... جن جنوني ، ولم أفكر في تلك اللحظة الا في أخي .. في شقيقي .. في ذلك الرجل الذي ربائي بعد وفاة والدي ، والذي لا أحب بعدك في هذه الدنيا انسانا سواه . فلم أتردد ، وقفلت راجعا الى بيتنا ، والتقيت بأخي ، وما زلت به أنبهه وأحذره وأبصره بالخطر الذي لابد أن يستهدف له لو فشلت الثورة ، حتى اقتنع برأيي ، ونزل على حكمي ، وكتب أمامي الى الشاعر اكتيون بأنه قد عدل بصفة نهائية عن تأييد المتآمرين . فتنفست أنا الصعداء . ولكني لم أهدأ حتى عثر تعلى ملجأ أمين نصحت شقيقي بأن يختبيء فيه خشية أن ينقم عليه اكتيون فيبعث بمن يقتله . ولما اطمأن قلبي على أخي ، عدت فامتطيت جوادي وأسرعت الى هنا أحمل اليك النبأ المنكر المشؤوم ... فخذي ... اقرأي أنت أيضا وتأكدي ... هذا هو المنشور وهو يدل أبلغ الدلالة على صدق كلامي ! .

وصمت وهو يلهث . فتعالت أنفاس الفتاة ، واحست كأن هوة عميقة تحتفر عند قدميها ، وكأن دوارا عنيفا يطوح بها . ذكرت تلك العبارات الغريبة النابية التي صدرت اليوم في البيت عن والدها . ذكرتها كلمة كلمة . ذكرتها وقلبها يتمزق سخطا وكبرا وأنفة . وذكرت موقف أستاذها ، ونورتها هي على أبيها ، وأشادتها بوطنية صديقهم أوريون المشوه الدميم ... فشعرت بالعار يغمرها ، ولم تستطع أن تتصور كيف يكون والدها الكاهن الأول ثم يخون ، وكيف تكون هي بنت هذا الكاهن ثم تغض الطرف عن الخيانة ، وتسمح بالنفاق يتستر خلف شعائر الدين ، وتحنث فوق ذلك باليمين الكبرى ، يمين النزاهة والاستقامة التي أقسمتها الساعة أمام الآلهة بالاس !

وحانت منها التفاتة الى داخل المعبد ، فلمحت والدها ينهض ثم يسجد ، ثم يمعن في صلواته . فتصاعدت من صدرها موجة اشمئزاز أخذت بمخنقها ، وزايلتها رقة العذارى ، وانبعثت في نفسها

المراة الصارمة القاسسية التى كانت تعترض اليوم والدها وتحاسبه على الخرافه ومروقه حسابا عسيرا . وقالت وقد تقطب جبينها واتقدت عيناها :

ـ اصغ الى يا كرونوس . انت تعلم بالطبع ان ملك الفرس داريوس عندما انزل جيوشه فى سهل ماراتون هاجم قلب جيشنا فتغلب عليه فى المعركة الأولى . ولكنى سمعت والدى يقول بالأمس للكاهن الأعظم **ان هذه خطة دبرها قائدنا العبقرى ملتيادس** ، وانه تعمد اضعاف قلب جيشنا وتقوية جناحيه كى يستدرج العدو الى وسط السهل الفسيح ، ثم يطبق عليه بجناحيه القويين ، ويمعن فى الطعن فيه حتى يلقى به فى البحر . واذن فهزيمة الملك داريوس فى المعركة الثانية محتومة . لهذا ولا شك رأى المتآمرون ان يسرعوا باشعال نار الثورة كى يضطر قائدنا الى نقل جزء من جيوشه الى الداخل . فيحارب فى ميدانين ، فيتخبط ، فيهزمه الفرس ويدخلوا بلادنا ، ويجعلوا من المتآمرين بين عشية وضحاها سادة وحكاما علينا ! ... فالمعركة الثانية الفاصلة قد تبدأ غدا اذن أو بعد غد . فاذا بقى المتآمرون أحياء ، ماتت اليونان ، وضاع استقلالها الى الأبد . فيجب ، يجب القضاء على المتآمرين يا كرونوس ...

وابرقت عيناها بريقا ثابتا حاقدا وأردفت :

ـ يجب سحقهم جميعا والتخلص منهم ، كى يدب الذعر فى صفوف أنصارهم ، **فيعجزوا عن** اشاعة الفوضى فى الداخل ، ويقبعوا فى جحورهم مكرهين ، ريثما تتم المعركة الثانية ويتحقق لجيشنا النصر ! ... ان حاكم المدينة لن يجسر على اعتقال الرؤوس والزعماء وهم أعظم وأقوى الشخصيات فى اثينا . بل هو لو اعتقلهم فستندلع نار الثورة بفعل أنصارهم وتلك هى الغاية التى يسعون اليها . واذن فواجبنا نحن ، نحن الشعب ، أن نعمل ... واجبنا نحن الشعب أن نحاسب ونعاقب ونضرب ! ...

فحدق اليها كرونوس مرتجفا وقال :

ـ صرحى عما فى ضميرك ...

فقالت بصوت قاطع :

ـ ان أستاذى الفيلسوف شالكاس وطنى سميم ، وله فى البلاد أتباع ومريدون ، فاليه سأتوجه حال انصرافى من هنا ، وهو الكفيل بالقضاء على الكاهن الأعظم ورئيس الشرطة والشاعر اكتيون ... اما انت ، انت يا كرونوس ، انت يا حبيبى ، فواجبك أمامك وهو على ملقى العزم منك ... فكن شجاعا ولا تتردد . ومتى اختفى الآن الكاهن الأعظم وشرع فى نحر الذبائح ، فتقدم أنت ، تقدم واطعن الكاهن الأول وهو يصلى ! ...

فتراجع كرونوس مذهولا وهتف :

ـ ماذا تقولين ؟ ...

فصرخت هستيا :

ـ لا تفكر فى انه والدى ! ... لم يعد لى والد ! ... كنت يتيمة الأم فاصبحت يتيمة الأب . ولست منذ الساعة الا بنت الآلهة بالاس ! ... لقد اقسمت ان اقتدى بها . ولن احنث بيمينى ! ... فلا تفكر فى كامراة لها عواطف بشرية مقدسة . اطرد هذه المراة من ذهنك . اقصها عن خيالك . اقتلنى فى قلبك الى حين . لتستطيع ان تقتل المجرم وانت ثابت مطمئن !

فارتمد الشاب من قرعه الى قدمه وقال :

ـ هستيا ... هستيا .. كيف تطلبين الى ان ارتكب هذا الجرم ؟ .. كيف يمكن لرجل يحبك أصدق الحب ان يسعى لاشقائك وهو لا يتمنى على القدر ان يجعل منك أسعد امراة ؟ .. لا .. لا أستطيع ... هذا ليس فى طاقة مخلوق .. ان وطنيتك تحرضنى اليوم على قتل والدك . ولكن عاطفة البنوة لابد ان تثور فى نفسك غدا ، وتعدنى مسئولا عما ارتكبت يداى ! ... انت فى حماستك لا تفكرين فى المستقبل . ولكن المستقبل هو كل ما نملك ... وانا اراه ... اراه فى هذه الساعة والمسه واعيش فيه ... اجل . اعيش فيه واعلم علم اليقين انه سيكون الظلام ... سيكون الهلاك ..

سيكون مقبرة حبنا العظيم ! ... آه يا هستيا .. انى لو طعنت والدك فالطعنة سترتد الى صدرى وتمزقنى وتمزقك انت ايضا يا حبيبتى .. لن تموت الجثة بيننا ابدا ! ... لن يموت والدك فى قلبك بل أنا الذى سأموت ! .. سأكون ذعرا لك . سأكون موضع حقدك وبغضك ونقمتك مدى الحياة . فتوبى الى رشدك واشفى على نفسك وعلى ..

فقالت فى مجالدة وعناد :

ـ سأقترن بك ، وسيزداد حبى لك كلما ذكرت انك انكرت حبك وقمت بواجبك !

فضمها الى صدره فى عنف ، وصاح بها يصب الكلمات فى مسمعها صبا كأنما هو يريد أن يحرك فيها عوامل الانانية التى تملأ قلوب جميع العشاق :

ـ انت شابة ، ومن حقك أن تعيشى وتسعدى ... وما من قوة فى الأرض تستطيع ان تطلب من امرأة أكثر مما يمكن أن تعطى ... ليس فى وسعك يا هستيا ولا من حقك أن تضحى فى سبيل الوطن برجل أنت نفسك مدينة له بالحياة ! ... على ان للوطن رجاله ، وانا على ثقة بأنهم سينقذونه .. وحتى لو نشبت الثورة فهى لن تؤثر فى نتيجة المعركة ... فى مقدور جيشنا أن يقمع الثورة ويربح المعركة ...

فقالت وقد اشتد فى صوتها لهب الغضب والاستنكار :

ـ ما ادراك ؟ .. وكيف تستحل تقدير الأمور وفق هواك ؟ .. ألست تحبنى ؟ .. اذن فاصدع بأمرى وقم بواجبك ولا تبك على والدى أكثر منى ! ..

فتشبث بها ، وقال :

ـ انما أبكى عليك وعلى ! ...

محال .. لن تخدعنى حماستك الطارئة ... لن انزلق . لن اطيعك . لن أشقيك .. لن أجلب على نفسى بغضك الناقم الأبدى ! ..

والصق خده بخدها ، وجعل يميل بها كأنه يهدهدها ، واردف :

ـ الحياة أمامنا يا حبيبتى ، فلماذا نضيعها ؟ .. السعادة بين ايدينا ، فلماذا نفقدها ؟ ... الحب يدعونا يا هستيا فلنلب النداء ! .. لنذهب ... لنتركهم ... لنفر الى الخارج ... اليوم ... بل الليلة ... لقد أعددت عدتى ... معى نقود ولى فى الخارج أصدقاء . فاستمعى لنصحى قبل فوات الوقت ، واعلمى انى أحبك أضعاف ما تحبيننى ، وانى ارتضى الفرار من الجيش فى سبيل حبك وانقاذ والدك ! .

فحملقت فيه مبهوتة وغير مصدقة وتأملته ... أهذا هو الرجل الذى عقدت عليه كل آمالها ؟ .. أهذا هو الفارس البطل الذى آمنت بشرفه ايمانها بحياتها ؟ ... يريد أن يأخذ ولا يعطى . يريد أن يتمتع ويتنصل . يريد أن يحب ويسعد ولكن بعد أن يفر ويخون ؟! ..

وظلت تتأمله وأنفاسها اللاهثة تتعاقب ، وبدنها المحموم يرتعش ، وعينها الصارمة ترقبه وتبحث فيه ولو عن لمحة واحدة من الرجل الذى كان منذ لحظة أمير أحلامها .

ولم يكد يصمت حتى كان صمته الزاخر بالخزى والعار قد باعد بينه وبينها . فتأملته ثانية واحتقرته . **احتقرته برغم حبها الشديد له . احتقرته ولكنها لم تيأس مع ذلك منه . لم تيأس** من تبديل عزمه وايقاظ ضميره والهاب وطنيته ودفعه الى تأدية واجبه والعودة الى ميدان القتال . فقالت له وهى تكذب لأول مرة فى حياتها ، وتجاهد ما استطاعت لتخفى عواطفها وأفكارها ، وتلاحق بعينها الحاقدة الرجل الخائن الذى يصلى والذى شاء القدر أن يكون هو والدها :

ـ ما أشد حبك لى يا كرونوس .. ليس فى مقدورى ان أجيبك الآن الى سؤلك ... أريد أن أتحدث اليك على انفراد .. تقدمنى الى بيتى وانتظرنى هناك ... يجب أن أصلى ايضا وأستوحى الآلهة . ومتى اتممت صلاتى أسرعت اليك بمفردى لأن والدى قد دعى لتناول طعام الغداء على مائدة الكاهن الأعظم وكذلك أستاذى وصديقنا أوريون . فاذهب ، اذهب الى بيتى حالا .

(للقصة بقية)